ـ(546)ـ عند هبوط جبرائيل؟ فقال: "لا، إنّ جبرائيل كان إذا أتى النبيّ صلّى ا عليه وآله وسلّم لم يدخل عليه حتّى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنّما ذاك عند مخاطبة ا عزّوجل إيّاه بغير ترجمان وواسطة"(1). والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ الكثير ممّا يروى في كيفيّة بدء نزول الوحي عليه صلّى ا عليه وآله وسلّم من حالة الهلع التي أُصيب بها، ولجوئه إلى خديجة التي هدّأت من روعه واكتشفت نبوّته أو عرضت قضيته على ورقة بن نوفل أو غيره من الأحبار والرهبان، هو ممّا لا يمكن القبول به، ولا يتصوّر النبيّ صلّى ا عليه وآله وسلّم شاكّاً في نبوته ولا جاهلاً بالوضع الذي هو عليه حتّى يطمئنه أمثال هؤلاء، هذا إضافة إلى تهافت تلك النصوص وتناقضها، وضعف أسانيدها. والثابت أنّه صلّى ا عليه وآله وسلّم كان منذ اللحظة الأُولى على بيّنة من أمره، وهل يختار ا تعالى لرسالته وثقلها إلاّ من صُنع على عينه وهُيّئ لحملها؟! وهذا الأمر يجري في كلّ وحي يوحى، فلا يتصوّر موحى إليه شاكّاً في أنّ الذي نزل عليه هو الوحي. وقد التفت السندي للأشكال الوارد على روايات البخاري فقال: "مقتضى جواب خديجة والذهاب إلى ورقة أنّ هذا كان منه على وجه الشكّ، وهو مشكل بأنّه لما تمّ الوحي صار نبيّاً، فلا يمكن أنّ يكون شاكاً بعد نبوّته، وفي كون الجائي عنده ملكاً من ا وكون المنزّل عليه كلام رب العالمين"(2). والصحيح أنّ رسول ا صلّى ا عليه وآله وسلّم لم ينزل عليه الوحي إلاّ بعد أنّ تربّى تربية دقيقة وأعدّ لتحمل هذه المسؤولية العظمى، وقد كانت الكرامات الكثيرة التي ظهرت لـه ورويت عنه تشكل إرهاصات للنبوّة، بحيث إنّه عندما نزل عليه الوحي كان على بيّنة

_____

1 ـ بحار الأنوار 18: 260، المجلسي، كمال الدين: 85، الصدوق، التمهيد في علوم القرآن 1: 64، معرفة. 2 ـ حاشية السندي بهامش البخاري 1: 3، ط. سنة 1309 هـ.